صلى الله عليه وسلم بطلب القرب بقوله واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من
سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك
كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني
عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما
صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات
فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكن راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا
ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء
عليك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان
انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه
نهاية مقام الموحدين وهو ان لا يرى شيئا الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهاية
اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع في نظره ومشاهدته سوى ذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم
لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصانا
في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله
سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض واولها وان كان مجاوزا اقصى غايات
الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عايشة رضي الله
عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد
فقال افلا اكون عبدا شكورا ومعناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال
لين شكرتم لازيدنكم واذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول
الانبياء بعثوا لدعوة الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة
وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون
النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر

والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد منه
مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له
حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناء في
والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يتقوى على القيام
بخدمة تغني عنه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى
العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فنزلة
العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فانها محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد
لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادها الملك منه
واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون
شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك
فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد
الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل النعمة في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر
حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب
القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فلذلك
خلق الله تعالى الخلق فهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته
وانما سعادتهم في القرب منه فاعد لهم من النعم الجمة ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم
عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فاذن نعم الله الات يترقى العبد بها من اسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة
القرب والله غني عنه قرب العبد او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة
مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتضائه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله تعالى لا يرضى لعباده
الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع فكل ما خلق الله في الدنيا
يستعملها

Copyright © King Saud University